11 me Année No. 540

Lundi - 8 - 11 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٤٠ « القاهرة في يوم الإثنين ١٠ ذو القعدة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

٢ ـ في المسجد الأقصى

للدكتور عبد الوهاب عزام

وقفت على شاطئ هذا السيل البشري حيناً ثم رجعت أدراجي إلى صاحبي الكريم في مصلاه ، ودخلنا الحجرة التي تواعدنا اللقاء بها فرأيت على بعد خطيب المسجد الأقصى يخرج إلى حجرته وهو في حلة خضراء وعمامة صلاحية ، وهو زي يتوارثه خطباء المسجد الأقصى من عهد صلاح الدين ؛ وهم من بني جماعة الكنانيين توارثوا هذا المنصب منذ القرن السادس إلى يومنا هذا ، وإنه لشرف عظيم . كانت خطابة الجوامع الكبيرة منصباً مشرّفاً في تاريخ المسلمين . وكثير من علمائنا يلقبون بالخطيب . وكانت هذه المناصب متوارثة يخلف فيها الأبناء الآباء وتحرص الأسر على شرفها ، كما كانت في تاريخنا بيوت تعرف بالقضاء وأخرى بالفقه وهكذا . ذهبت إلى حجرة الخطيب فزرته وشرفت بمجالسته قليلاً ثم رجعت إلى حجرة الوعد ووافانا في موعدنا من الزمان والمكان الأستاذ المخلص فسرنا نطوّف في أرجاء الحرم . بدأنا بقبة الصخرة ننظر ما كستها الصناعة والتاريخ من حلى أحدثها الرخام المجزع الذي فرغ منه المهندسون المصريون منذ سنوات قليلة . ولست أستطيع أن أحدث عن تاريخ هذه القبة العظيمة منذ شادها عبد الملك بن

مروان إلى عصرنا هذا ولا أن أصف هندستها وجمالها وحلاها وأبهتها فقد ضمنت هذا كتب وصور كثيرة. وحسبي أن المقدسي يقول فيها بعد وصفها: « فإذا بزغت عليها الشمس أشرقت القبة وتلألأت ورُئيت شيئاً عجيباً. وعلى الجملة لم أر في الإسلام ولا سمعت أن في الشرك مثل هذه القبة » وكذلك أقول ما رأيت فيما رأيت من عجائب الأبنية في البلاد الإسلامية أجمل من قبة الصخرة. ويستطيع القارئ أن يرى مثالاً صغيراً ضئيلاً منها في القبة التي على ضريح السلطان قلاوون في القاهرة. ومن عجيب ما رأيت على جدران القبة من الخارج حجة وقف للسلطان برسباي وقف فيها بعض القرى على عمارة بعض الأبنية في الحرم. ولقد سجل وقفه في أطهر الصحف وأبقاها

وبجانب القبة قبة صغيرة ثمينة على مثالها غير أنها لا يحوط أعمدتها جدار. وقد قيل إن عبد الملك طلب أن يبنى مثال للقبة قبل أن يشرع في هذا البناء الرائع العظيم النفقة، فبنى له هذا المثال فأعجبه، وبنيت القبة الكبرى على صورته. وقيل بل بنيت القبة الصغيرة من بعد

وهذه القبة الصغيرة مصلًّى رأيت النساء يصلين فيه يوم الجمعة. وعلى صحن الصخرة وهو الدكة العالية الواسعة التي تتوسط ساحة الحرم الفسيحة قبة أخرى صغيرة جميلة تحتها قبة صغيرة تسمى قبة المعراج. وهناك حجرات أخرى متفرقة في أطراف الصحن

هبطنا إلى الساحة المحيطة بصحن القبة على أحد السلالم المحيطة به. ولهذه الدكة تسع سلالم ذوات درج طويل على كل منها عمد تنتظمه عقود فوقه، ومشينا ذات اليمين نساير السور الغربي من أسوار الحرم وقد توالت بجانبه أبنية تنميها عصور مختلفة، وتخلد عليها ذكرى كثير من سلاطين المسلمين. وحول أسوار الحرم من الداخل والخارج أبنية كثيرة كانت مدارس عمرت بالأستاذين والطلاب زمناً طويلاً، ودرّت على المعلمين والمتعلمين بها خيرات كثيرة. وما أحراها اليوم أن تكون مأوى لعلماء من المسلمين يؤمونها من أقطار الأرض فيتداولون الإقامة بها والتدريس بالحرم حيناً! ما أجدر هذا التاريخ بأن يحفظ، وما أخلق هذه الذكريات بأن توعى! وكم اتصلت بهذه المدارس من تواريخ العلماء والأدباء

رأينا فيما رأينا هناك المدرسة الأشرفية التي شادها السلطان الصالح المعمّر الذي تشهد له اليوم آثاره في بيت المقدس ومكة والمدينة ومواضع كثيرة في القاهرة — ذلكم السلطان أبو النصر قايتباي رحمه الله. وقد عجبت إذ قرأت فيما قرأت من ألقاب السلطان المنقوشة على البناء لقب « الإمام الأعظم » وما عرفته قبل اليوم لأحد من السلاطين

وقد صعدنا منارة المدرسة على قدمها ونيل الأعصار منها فأشرفنا على مرأى جليل من الجبال والأبنيه القديمة والحديثة وكأنما أشرفنا على عصور من التاريخ. وعلى مقربة من المدرسة سبيل جميل للأشرف برسباي من سلاطين المماليك. وقد جدده السلطان قايتباي سنة ثمان وسبعين وثمانمائة، ثم السلطان عبد الحميد العثماني وقد سمي في الكتابة التي على السبيل بالخليفة الأعظم. وفي ساحة الحرم كثير من السبل والآبار الجميلة

وانتهى بنا السير مع هذه الآثار والذكر إلى التكية البخارية وهي التي اتخذت متحفاً إسلامياً، بعد أن ضم إليها قسم من مسجد النساء الذي يأتي ذكره. صفت في مدخل المتحف، وبداخل التكية، رءوس من العمد القديمة التي كانت بالمسجد الأقصى ونقوش وحلى وكتابة من آثار العصور الماضية. وفي البهو الواسع الذي اقتطع من المسجد آثار قليلة جليلة صغيرة في العين كبيرة في القلب، هي كسلاح البطل المجاهد؛ عدة قليلة تحدث أخباراً طويلة، وسيوف ورماح هي عنوان لتاريخ من الكفاح. رأينا فيما رأينا المصحف الذي كتبه بخطه السلطان عبد الحق من سلاطين بني مرين بالمغرب[1]. وقد كتب هذا السلطان التقي بيده ثلاثة مصاحف أهداها إلى المساجد الثلاثة في مكة والمدينة وبيت المقدس.

ورأينا في المتحف سيف الشيخ شامل المجاهد الذي أبلى أحسن البلاء في الدفاع عن البلاد الإسلامية في القوقاز. كما رأينا على الجدار عباءة بها خروق. فأما العباءة فعباءة البطل المقدام، والعربي الحر الأبي سلطان باشا الأطرش. وأما الخروق فآثار الرصاص من دبابة فرنسية هجم عليها هذا الأسد في إحدى ثوراته.

(١) كتب على هذا المصحف أنه كتب سنة ٧٣٤. وهذا التاريخ لا يوافق عهد السلطان عبد الحميد، ولكن هذا يوافق عهد السلطان أبي الحسن من بني مرين، فينبغي أن ينظر في هذا التاريخ

فليت شعرى أىّ خلة أشرف من هذه المباءة ، وأى وسام أجل من هذه الثقوب . لقد أحسن الذى حفظوا سيف شامل وعباءة الأطرش فى المتحف الإسلامى من المسجد الأقصى ، وإنها لعبرة . ورأينا بعد مصابيح من آثار الأيوبيين ، وقدوراً عظيمة من آثار العثمانيين ، ونفائس أخرى لا يتسع لذكرها هذا المقال

ثم اطلعنا على دفتر الزيارة فرأينا توقيعات كثير من الزوار بينها خط الملك فيصل رحمه الله ، وقد كتب هذه الآية الكريمة (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) . وقد رأينا الآية نفسها مكتوبة على باب السكينة من آثار السلطان قايتباى .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

من ليالى الفردوس

للدكتور زكى مبارك

لم يكن أول حب ، فما مرّت ساعة من نهار أو من ليل بلا وجد يعصف بقلبي فيزلزل وجودى ، وإنما كان أخطر حبّ ، لأنه صادف قلبين كُتب عليهما الشقاء بالهوى لأول لقاء

ولم يكن لهذا الحب مقدمات ، على نحو ما تصنع الطبيعة فى إرسال البشير بالغيث ، أو النذير بالويل ، وإنما صبّ علينا نعيمه وشقاؤه بلا وعد ولا وعيد ، فأصاب قلبَينا برجفة عاتية ستبقى لها ندوب ، إن قُدِّر من بلواها الخلاص ، ولا خلاص !

كنت أعرف أنها مِلك يمينى أصرّفها كما أريد ، فأنقلها من الغرب إلى الشرق ، ومن الشمال إلى الجنوب ، وكانت تعرف أنها ملأت قلبي فلا خوف من تعرّضه لهوًى جديد ، ولو ساقته المقادير على يد جِنّية من جنيات باريس أو بغداد أو بيروت

وطاب لنا فى بداية الهوى أن نتكاتم ، فقد كنا شببنا عن الطوق ، وكانت لنا تجاريب تجعل البَوْح من أخلاق الأطفال . وكيف تأمن جانبى وقد « وصلتْها أخبار » تشهد بأنى لا أقيم على عهد ، وأنى أتخذ الحب وسيلة لدرس خلائق الملاح ؟

وكان أمرى فى الهوى كما قدّرت تلك البغوم ، فما نظرتُ نظرة جارحة إلا لأقتبس من أنوار الخدود شعاعاً ألوّن به مداد قلمى ، ولا تعرّضتُ لمكاره الغواية إلا لآخذ من جحيم الفتك جمرةً أذكى بها بيانى

ثم كان حالى حال رائض الحيات فى مدينة الأقصر ، فما تاريخ ذلك الرائض ؟

هو رائض تطايرتْ أخباره إلى « لورد كرومر » فأحب ذلك اللورد أن « يختبر » تلك الأخبار ليكون من أمرها على يقين ، فقاده « الحاوى » إلى حية كان حبَسها تحت حجر من الأحجار فى رحاب « وادى الملوك » ، وكانت تلك الحية تفهم عن « الحاوى » ما يريد ، فتصحو أو تنام وفقاً لما علّمها من الإشارات

ورفع الحاوى الحجر فثارت من تحته حيةٌ لم يرها من قبل ، حيةٌ لم تتلقَّ عليه درساً من الدروس ، ولا تفهم أنه فى صحبة رجل كلّفته الدولة البريطانية حراسة منافعها فى مصر مفتاح الشرق !

وخاف الحاوى على حياته فلاذ بالفرار ، ثم عظُمتْ دهشته حين رأى لورد كرومر أقدر منه على الجرى فى طلب النجاة ، مع أن فى منطقته مسدّسين ، ومع أنه يمثّل دولة لها فى البر جيوش وفى البحر أساطيل !

كان حالى حال ذلك الرائض ، كنت ألهو وألعب بالملاح كما كان يلهو ويلعب بالحيات ، فكيف صار وكيف صرتُ ؟

لقد هرب فنجا ، أما أنا فثبتُّ فى مكانى لأصرع الحية أو تصرعنى ، وهل كانت حياتى إلا حومة نضال وصيال وقتال ؟

وفهمتْ الحية وفهمتُ أننا لم نكن إلا أرقمَين يتساوران ، ثم كانت الحرب بيننا سجالاً فلم أنج منها ولم تنج منى هى اطمأنت إلى أنها سيطرت على القلب الذى استطاب العبث بقلوب الملاح

وأنا رضيتُ بأن تكون تلك الحية من مرضاى ، وهل من القليل أن تخضع الحية لحبك ، الحية النضناض التى تقتل من تشاء بأيسر نظرة وأهون فحيح ؟

كانت أنياب تلك الحية أشهى إلى فمى من « قَرْط الرُّمان » كما يعبّر أهل سنتريس ، وكنا نرضَى ونغضَب بلا اقتصاد ولا احتراس ، فكان لنا فى كل لحظة شأنٌ أو شؤون ، وكان

وجهها يربدُّ في وجهي من وقت إلى وقت ، كما تصنع السماء مع المحيط ، كانت ترضى فأظنها صارت ملكي إلى الأبد ، وكانت تغضب فأتوهمها ضاعت من يدى إلى آخر الزمان

ولكن الشقية في جميع أحوالها جميلة فتانة إلى أبعد حدود الجمال والفتون ، وكانت تعرف أن هواها أقسى وأعنف من القَدَر المكتوب ، وكانت فوق هذا وذاك تفهم أني أول وآخر من يعرف خفايا الأسرار لحسنها المكنون ، وكانت تفهم أني أدرك من أخطارها ما لا يدرك المصريون من أخطار قناة السويس ، وكان يروعها أن تراني مبهوتاً أمام جسمها الفينان كما يُبهت عابد الشمس وقد تجلّت بطلعتها البهية عند الشروق

هل كان جمال هذه الشقية وهماً خلقه القلب الذى يطيب له التفريد فوق أفنان الجمال ؟

وكيف وقد زاحمني إلى قلبها المتمرد مئات الفحول ، فكنت بحمد الهوى أول سابق لا أول مسبوق ، ومن زعم أن له ذراعين أقوى من ذراعيّ فقد اعتصم بحبل الزُّور والبُهتان

كانت نخلة لا يميلها غير العواصف التي تثور عن وجداني .

كانت امرأةً وقوراً لا يستخفها غير الغزل الذى يصدُر عن بياني

كانت في رزانة الجبال إلى أن رأيتُها فعرفتني ، وكنت قطعةً من ثلوج الشمال إلى يوم البلوى بروحها المقبوس من عذاب السعير ، فكيف صار الحب جدًّا من أعنف ضروب الجِد ، وكان مزاحاً من ألطف فنون المزاح ؟

أنت يا شقية سبب شقائي ، وأنت السرّ في بلواى بالدنيا وبالوجود

ولكنك مع ذلك أشبه الأشياء بنُكت المداد الذى يتساقط حين أخلو إلى قلمي ، فمن قطرات المداد الأسود دوّنت أدبي ، ومن زفرات روحك الأهوج صفت روحي ، وبين الأدب والروح نَسبٌ وثيق

أنا القمر وأنتِ السحابة في ليلة من ليالي دمياط ، والنصر للنور ولو بعد حين

* * *

مالي ولهذا الحديث ؟ أنا أريد وصف ليلة من ليالي الفردوس مع تلك الحورية السمراء ، فكيف كانت تلك الليلة الفردوسية ؟

يجب أولاً أن أقول كلمة وجيزة أبين بها بعض خصائص المرأة الجميلة حين تصبح على جانب من التهذيب والتثقيف ، وحين يصبح في مقدورها أن تخوض بلباقة وبراعة في شجون من الأحاديث ، فهذه المرأة تخلع على موضوع الحديث عطراً رفيقاً يسرى أريجه إلى عقل المحدث فيزيده حيوية إلى حيوية ، وهي تضيف إلى الحديث ألواناً لطيفة من الدعابة والدلال ، وإن كانت لا تقصد إلى الدعابة والدلال ، فالمرأة رقيقة بالفطرة والطبع ، وقد تبلغ نهاية الرقة حين تساجل رجلاً تميل إليه بالقلب والوجدان

وهنالك ظاهرة نفسية تستحق التسجيل ، فالمرأة تحاول الظهور باسم العقل ، ويسرها أن تجد من يقول بأن النساء أعقل من الرجال

وهل قلنا بغير ذلك ، يا ناس ؟

المرأة أعقل من الرجال ، بلا جدال ، فلتطلب من المناصب ما تريد !

وصاحبة الليلة الفردوسية من هذا الصنف ، فهي لا تكف عن المطالبة بمساواة النساء للرجال في جميع الميادين

ولكني أعارض . أعارض لأسمع صوتها البغُوم وهي تجادل وتناضل . وأعارض لأرى كيف يتلون وجهها الجميل حين تنفعل وحين تصرخ ؛ ولا غنى للمرأة عن الانفعال والصراخ

ما أجمل هذه الشقية حين تثور مطالبةً بحقوق النساء !

إنها ترفع ذراعها ، وتلوى وجهها ، ثم تحدق فيّ لأقتنع !

وهل أقتنع إلا بعد أن أتمتع بهذه المجادلات ساعات وساعات؟

لن أقتنع أبداً ، فلتحبسني في دارها لأسمع تلك الخطب اللطاف ، إلى أن أمل من النعيم فأقتنع ، ولن أمل ولن أقتنع !

إن كان من الخيانة للحق أن نساعد النساء على الطغيان ، فأنا بإذن الهوى أول الخائنين !

ومن حسن الحظ أن خيانتي هينة الخطب ، لأن المرأة بعيدة عن عملي ، ولو تعرضت لي في عملي لدستها بقدمي ، فللرجولة وثبات تزلزل الجبال

إذا جدّ الجد فلن أخضع لهذه الجنية ولو كانت من جنيات الأورمان

وما الجد وما الحق بجانب سحر الجمال ؟

آمنت بك يا ربى وآمنت ثم آمنت ، فلولا لطفك لردتنى هذه الجنية إلى أهواء يعجز عن تصورها الخيال

أنا أحبها لأنها أصــدق منى . . . تعرضتُ للموت فى حبها فتعرضت للفضيحة فى حبى ، والفضيحة أفظع من الموت

ما أجملها حين تثور فى المطالبة بمساواة النساء للرجال !

لو كان الأمر للهوى لمنحتها ما تريد ، ولـكن العقل يساجلنى من وقت إلى وقت ، فأثور على مطالب النساء

ما أنت أيها العقل ؟ ومتى أنجو من شرك ؟

* * *

مالى ولهذا الحديث ؟ ألم أقل إنى أريد وصف الليلة الفردوسية ؟ طال الجدال حول حقوق المرأة فاقتنعتُ لأنى شبعت من مجادلة الجنية السمراء ، ولأنى رغبت فى تلوين الأحاديث ، فدعوتها للمهادنة إلى حين

عند ذلك وقفتْ وقد احتضنت الـكمنجة لتداعبها بأناملها اللطاف ، وهى أجمل ما تـكون حين تقف ، لأن جمالها يرتـكز فى قامتها السمهرية :

أنا واللهِ هـــالك آيسٌ من ســـلامتى
أو أرى القامة التى قـد أقامت قيـامتى

— ماذا تحب أن تسمع ؟

— أنا أحب أن أرى !

— أنت تعرف أنى أبغض المزاح الثقيل

— وأنت تعرفين أنى أبغض الجد اللطيف

— يظهر أننا أطفال

— نحن أطفال كبار ، والطفل الـكبير هو الطفل اللوذعىّ ، لأن مطالبه مطالب رجال ، لا مطالب أطفال

— وماذا تطلب أيها الطفل اللوذعىّ ؟

— أطلب تغريدة تعبر بها الـكمنجة عما أريد

ولـكن الشقية رمت الـكمنجة ، ومدت يدها إلى المـكتبة فأخرجت كتاب « ليلى المريضة فى العراق »

— تصفح الـكتاب ، ثم اقرأ ما طوّق بعلامة الخطر ، وهى التأشيرة الحمراء

— إقرئى أنتِ

— أنا أحب أن أسمع صوت المؤلف ، لأتفوّق على من يتباهون بأنهم رأوا خط المؤلف

— كتاب ليلى لا يُقرأ ، وإنمـا يرتَّـل ، وصوتُـك أندى فى الترتيل

— أنا أحب أن أسمع صوتك فى مواقف الصَّـبَـوات

عند ذلك تمثَّـل ماضىَّ الجميل ، ماضى فى ضيافة ليلى وظمياء ، ماضى الذى لم يظفر بمثله أى عاشق فى أى زمان

وعند ذلك تمثل شقائى فى بغداد ، وأى شقاء ؟

كنت أرجع من دروسى بدار المعلمين العالية أو محاضراتى بكلية الحقوق فأرى العربات محمَّلة بأقوام يمضون إلى سهرات المساء ضاحكين حالمين ، وأرانى أمضى إلى دارى لأقضى الليل بين الورق والمداد

هل أنسى أنى استهديت أحد أصدقائى عشاء فى داره لأقول إنى ذقت طعاماً فى أحد بيوت العراق ؟

البيوت العراقية مفتحة الأبواب لـكل زائر ، ولـكنى لم أهتد إلى هــذه الحقيقة إلا بعد أن طال عذابى بالوحشة والانفراد فى ليالى بغداد

وفى تلك الأزمات القاسية سطرت كتاب ليلى المريضة فى العراق .

تمثلت هــذه المتاعب لخاطرى وأنا أرتل كتابى ، فانقلب الترتيل إلى نشيج ، ثم رفعت بصرى فرأيت دموعاً تجاوب دموعى ، وهى الدموع الأبية العصية ، دموع الخريدة التى قهرها الحب على البكاء ، بعد طول التأبى والعصيان

— من صاحبة هذا الوحى إليك ؟

— هى ليلى

— غريمتى فى العراق ؟

— عند القلب علم الغيب

— وماذا يقول قلبك ؟

— يقول : « قلبى مات ، قلبى مات »

— ولقلبك قلب ؟

— ولدموعى دموع !

— وما نصيبى عندك ؟

— هو أعظم نصيب ، وهو أخطر من أن يُنصَب له ميزان ، فذخائر الوجود لا تساوى قطرة واحدة من دموعك الغالية

— يفتنك بكائى ؟

— الدموع فوق الخدود أجمل من الأنداء فوق الورود

— ستنشر هذا الحديث فى مجلة الرسالة ؟

— وفى جميع المجلاّت

— وما ذا يقول الناس ؟

— وأين الناس ؟

— أنت تخاطر بمركزك فى المجتمع

— وأين المجتمع يا طفلتى الغالية ؟ لقد حاربت ألوفاً من الخلائق وحاربونى ، فهل هزمونى ؟ أنا لا أخاف غير الله ، وهو خوف منبعث عن الأدب ، وليس له أية صلة بالخوف الذى يفهمه عامة الناس ، ولو شئت لقلت إنى آمن جانب الله فلا أتخوف منه أى عقاب

— هات السند من الكتب الدينية

— حياتى هى السند ، فقد تفردت بين أهل زمانى بالثورة على الناس ، ثم بقيت سيداً لا يمن عليه مخلوق

— ولكنك فقير ، بالقياس إلى المرائين

— كيف أكون فقيراً وأنت فى حيازتى ، أيتها الجنية السمراء ؟

— هل تبيعنى لتغتنى ؟

— وأين أجد المشترى ؟

— أنت تكايدنى !

— المكايدة لغةُ جنية الأورمان ، عليها غضبة الحب إلى آخر الزمان !

— ومن تلك الجنية ؟

— هى روح لطيف ، وإن لم أتمتع برؤية وجهها الجميل

— أتكون أجمل منى ؟

— جمالها فى الصوت ، وبصوتها فى العتاب نقلت قلبى من مكان إلى مكان

— هى إذاً غريمة جديدة ؟

— إن آذتك الغيرة فلن تظفرى منى بأى نصيب ، لأن الغيرة تفسد ما بين المرأة والرجل فساداً لا يُرجَى له صلاح

— كنت أحسب أن الغيرة دليل على قوة الحب ، وأنها مِنّة نطوق بها قلب الحبيب

— غيرة المرأة أَثَرَةٌ وأنانية وتحكم وطغيان

— وغيرة الرجل ؟

— غيرة الرجل رفق وحراسة وصوصوة وإيمان

— أوضح ثم أوضح ، لأن هذا الكلام يحتاج إلى إيضاح وإيضاح

— إسمعى يا طفلتى الغالية . إن الرجل يستطيع أن يصاهر من يشاء ، ولو شهد ماضيه بأنه كان من أهل العبث والمجون . ولا كذلك المرأة ، فإنها لا تجد خاطباً إلا إن شهد ماضيها وحاضرها بأنها من أهل التصون والعفاف

— هذا هو الظلم المبين

— هو ظلم ياطفلتى الغالية ، ولكنه ظلم لن يُرفع عن المرأة فى أى زمان

— الفجور الصريح لا يؤذيكم ، فكيف تؤذينا كواذب الشبهات ؟

— كان الأمر كذلك ، وسيكون لأننا أقوياء ، وحق الأقوى هو الأفضل ، ألم تقرئى قول لافونتين :

La raison du plus fort est toujours la meilleure

— وأنتم أقوى منا ؟

— الجواب حاضر ، فبينى وبينك فى السن عشرون سنة ، وأنت مع هذا تعجزين عن مصارعتى ، وأنا أشتهى أن تصارعينى

— ذوق هذا العصر لا يعترف بالقوة الجسدية

— القوة الجسدية هى الأساس فى جميع العصور

— وهل حصنتكم القوة الجسدية من الضعف ؟

— أى ضعف ؟

— الضعف أمام رقة المرأة

— هذا الضعف من شواهد قوة الرجل ، كما أن ضعف المرأة أمام فحولة الرجل من شواهد قوة المرأة

— أنت إذاً أضعف منى ، لأن خضوعك لى أقل من خضوعى لك

— خضوع الرجل للمرأة خدعة من خدع الحرب ، وأنا منتصر ، والمنتصر لا يحتاج إلى الخداع

— والنتيجة ؟

— النتيجة معروفة ، وهى أن النساء لا يصلحن لمساواة الرجال

٦ـ حكاية الوفد الكسروى

لأستاذ جليل

عامر بن الطفيل

يقول عامر بن الطفيل : « وبالحرى إن أدالت الأيام وثابت الأحلام أن تحدث لنا أموراً لها أعلام . قال كسرى : وما تلك الأعلام ؟ قال : مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر على أمر يذكر ... »

فمن يعنى منشيء (القامة) بما سطر ؟ ومن ذا الذى ستلف الأحياء عليه ، وتنقاد له ؟

أغلب الظن أنه أومأ إلى ما أعلنه سطيح الذئبى وشق الأنمارى وسيف بن ذى يزن . وإن قصد الصائغ عامر بن الطفيل استناداً إلى روايات من نوع خبره رُويت فقد أبعد فى ضلاله . وهذه نبذ مما زخرفوه لعامر تملى طرَفا وأفاكيه :

« كان أبو على عامر بن الطفيل من أشهر فرسان العرب بأساً ونجدة وأبعدها اسما حتى بلغ ذلك أن قيصر ملك الروم كان إذا قدم عليه قادم من العرب قال : ما بينك وبين عامر بن الطفيل ؟ فإن ذكر نسبا عظم عنده ، حتى وفد عليه علقمة بن عُلاثة ، فانتسب له ، فقال : أنت ابن عم عامر بن الطفيل ؟ فغضب علقمة وقال : ألا أرانى أعرف إلا بعامر ؟ فكان ذلك مما أوغر صدره عليه وهيجه إلى أن دعاه إلى المنافرة ... »[١]

« قدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنت آليت ألا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى . أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش .. »[٢]

« قدم عامر بن الطفيل على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقدم معه أربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة العامرى الشاعر لأمه ، فقال رجل : يا رسول الله ، هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك . فقال : دعه ، فإن يرد الله به خيراً يهده . فأقبل حتى قام عليه ، فقال : يا محمد ، مالى إن أسلمت ؟

قال : لك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم

قال : تجعل لى الأمر بعدك

قال : لا ، ليس ذاك إلىّ[٣] ، إنما ذلك إلى الله (تعالى) يجعله حيث يشاء

قال : فتجعلنى على الوبر ، وأنت على المدر

قال : لا[٤]

قال : فماذا تجعل لى ؟

قال صلى الله عليه وسلم : أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها

قال : أوليس ذلك إلىّ اليوم ؟ وكان أوصى إلى أربد بن قيس : إذا رأيتنى أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف . فجعل عامر يخاصم رسول الله ويراجعه ، فدار أربد خلف النبى ليضربه ، فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله (تعالى) فلم يقدر على سله[٥] . وجعل عامر يومىء إليه ، فالتفت رسول الله فرأى

(١) شرح المفضليات للانبارى

(٢) السيرة لابن هشام وتاريخ الطبرى

(٣) فى طبقات ابن سعد : قال : ليس ذاك لك ولا لقومك

(٤) فى الفائق : فأبى رسول الله ، فقام عامر مغضباً وقال : لأملأنها عليك خيلا جردا ، ورجالا مردا ، ولأربطن بكل نخلة فرسا

(٥) فى (السيرة) : قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك ، وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً ، قال : لا أبالك ، لا تعجل على ، والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

— أنت تعرف أنى لا أرى هذا الرأى

— وأنت تعرفين أنى أنكر على المرأة جميع الحقوق

— جميع الحقوق ؟

— حتى حق الحب !

— إذن نفترق

— إن طاب لك الافتراق

— ولا نتلاقى أبداً ؟

— أبداً أبداً

— ولكنى أرى هذه المعضلات تحتاج إلى حلول ، فهل نلتقى فى الأسبوع المقبل ، على شرط أن نظل متخاصمين فى الرأى ؟

ثم انصرفت وأنا من تلك العيون على ميعاد ، للمجادلة والاختلاف ، وسنجادل ونختلف ، ونجادل ونختلف ، لأرى كيف ترفع ذراعها وتلوى وجهها ، ثم تحدق فىّ لأقتنع

آمنت بالحب والجمال ، آمنت آمنت ، فزدنى اللهم إيماناً إلى إيمان .

زكى مبارك

أربد وما يصنع بسيفه ، فقال : اللهم ، اكفنيهما بما شئت . فأرسل الله على أربد صاعقة فى يوم صائف صاح فأحرقته ، وولى عامر هارباً ، وقال : يا محمد : دعوت ربك فقتل أربد ، والله لأملأنها عليك خيلا جرداً وفتيانا مرداً . فقال رسول الله : يمنعك الله من ذلك وابنا قيلة ، يريد الأوس والخزرج ، فنزل عامر ببيت امرأة سلولية ، فلما أصبح ضم عليه سلاحه ، وخرج وهو يقول : واللات لئن أصحر إلىّ محمد وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذنهما برمحى . فلما رأى الله تعالى ذلك منه أرسل ملكا فلطمه بجناحه فأذراه فى التراب ، وخرجت على ركبته غدة[1] فى الوقت عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول : غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية ؟ ثم مات على ظهر فرسه[2] ...

ذلكم مما زخرفوه لعامر . ولقد كبر الرواة ابن الطفيل كثيراً ، وأقعدوه فوق مرتبة عالية ، وتنوقوا فى صبغه وتلوينه ولكن الحق ينزله ، والتحقيق يزيل عن وجهه كل صبغ وتزويق ، فقد أخبروا أن سبب المنافرة إنما هو مهاترة[3] كانت بين عامر وعلقمة لا أن قيصر قال ما قال . ولما ذهبا إلى هرم بن قطبة بن سنان الفزارى ليقضى بينهما ؛ قال هرم لعامر : « أتفاخر رجلاً لا تفخر أنت ولا قومك إلا بآبائه ؟ فما الذى أنت به خير منه ؟ فقال عامر : ناشدتك الله والرحم ألا تفضل على علقمة ، فوالله إن فعلت لا أفلح بعدها . هذه ناصيتى جزها واحتكم فى مالى ، فإن كنت ولا بد فاعلاً فسوّ بينى وبينه »[4]

وعلقمة إنما ذهب إلى الروم ودخل على ملكهم - إن صح الخبر - فى زمن عمر « وقد كان شرب الخمر فضربه (رضى الله عنه) الحد ، فلحق بالروم فارتد ، ثم رجع فأسلم[5] » ، وعامر هلك فى أيام النبى (صلوات الله وسلامه عليه)

(١) فى طبقات ابن سعد : فسلط الله على عامر داء فى رقبته فاندلع لسانه فى حنجرته كضرع الشاة

(٢) مجمع الأمثال للميدانى

(٣) و (٤) شرح العيون لابن نباتة المصرى

(٥) شرح المفضليات للأنبارى . فى تاريخ الطبرى : كان علقمة أسلم ثم ارتد فى أزمان النبى ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشام ، فلما توفى النبى أقبل مسرعاً حتى عسكر فى بنى كعب مقدما رجلا ومؤخرا أخرى ، وبلغ ذلك أبا بكر فبعث إليه سرية ... ثم أسلم فقبل ذلك منه (قلت) إذا صحت رواية الانبارى والطبرى فقد ارتد علقمة مرتين .. وفى شرح العيون أن عمر ولى علقمة حوران .

وكان عامر فاجراً جائراً ، وسماه مسهر بن زيد الحارثى (مبير قومه) وأراد يوم (فيف الريح) قتله ، وأراحتهم منه ، فوجأه بالرمح فى وجهه ، ففلق الوجنة ، وانشقت عين عامر ففقأها[1] ، وترك مسهر الرمح فى عينه . وقيل : إن عامراً وثب عن فرسه ، ونجا على رجليه ، وأخذ مسهر رمح عامر[2] . وفى رائية عامر - وهي مفضلية - :

لعمرى وما عمرى علىّ بهيّن لقد شان حرّ الوجه طعنة مسهر

ولمسهر شعر فى طعنته هذه رواه (العقد) فى (يوم فيف الريح) وقد قال مسهر فيه : إنهم أخذوا امرأة عامر بن الطفيل « وقد كان بنو عامر أخذوا امرأة من بنى عبس ، فما لبثت عندهم إلا يوماً واحداً حتى استنقذها قومها ، وفخر عامر بن الطفيل بذلك ، وذكر أخذه إياها[3] »

أبمثل هذه (البطولة) يفخر الفاخر ، وهل لعامر أن يقول يقظان أو وسنان : « والله لقد كنت آليت ألا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى ، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش » كما قص ابن إسحاق ونقل ابن هشام وابن جرير تقول (السيرة) لابن هشام :

« ... بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المنذر بن عمرو فى أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين . إلى أهل نجد[4] فساروا حتى نزلوا بئر معونة - وهى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم - فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ... واستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم من عصية ورعل وذكوان ... فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم يرحمهم الله ... »

فإذا صح ما نقل ابن هشام فكيف يجاسر عامر بن الطفيل أن يفد على رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) كافراً ، لم يسلم ، سافكاً دماء من سفك دماءهم من المسلمين ، وقد دانت العرب للنبى ، وقد ملك « الجزيرة » ثم يريد أن يقدم هو وأربد على ما نوياه ، وحول رسول الله من هم حوله من أبطال الإسلام ،

(١) شرح المفضليات ، شرح العيون

(٢) العقد (٣) الأغانى

(٤) فى السيرة قال أبو براء عامر بن مالك لرسول الله : « لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك

٣ ـ الشعر المرســـل

وشعراؤنا الذين حاولوه

للأســـتاذ دريني خشبة

بين يدي الآن وأنا أكتب هذه الكلمة بواكير من الشعر المرسل لا بأس بها للشعراء الأساتذة : محمد فريد أبي حديد وعلى أحمد باكثير واحمد زكي أبي شادي وعبد الرحمن شكرى وخليل شيبوب والمرحوم جميل صدقي الزهاوى ، ثم قطعة الآنسة مهير القلماوى (السيدة الدكتورة الآن)

ولما كانت القطع التي نظمها الأستاذ عبد الرحمن شكرى والمرحوم جميل صدقي الزهاوى ، ثم القطعة التي نظمتها الآنسة سهير متشابهة من حيث القصر ، ومن حيث كونها أقرب إلى القصائد منها إلى مواضع الشعر المرسل من أجله (النظم المسرحى ونظم الملاحم والقصص الكبيرة) فنحن مضطرون إلى صرف النظر عنها الآن ، على أن نعود إليها في فرصة أخرى ، ونرجو أن نوفق إلى ذلك بعد الفراغ من استعراض آثار الشعراء الأفاضل الباقين ، لأنها أهم ما في الأدب العربي الحديث من الشعر المرسل .

أما قطعة الأستاذ شيبوب فقد جمع فيها بين ستة أبحر وربما تناولناها في حينها

فللأستاذ أبي حديد :

١ — مقتل سيدنا عثمان « درامة كاملة »

٢ — خسرو وشيرين »

٣ — ميسون الغجرية « أوبريت كاملة »

٤ — زهراب ورستم « ملحمة نقلها بهذا الشعر عن الشاعر الإنجليزى ماثيو أرنولد »

٥ — بعض المشاهد عن درامات مختلفة لشيكسبير

وللأستاذ باكثير :

١ — السماء أو إخناتون ونفرتيتى « درامة كاملة »

٢ — إبراهيم باشا »

٣ — روميو وجوليت « ترجمة عن شيكسبير »

وللأستاذ الدكتور أبي شادى :

١ — ممنون « أقصوصة منقولة عن فولتير »

٢ — ترنيمة أتون « منقولة بالشعر الحر عن العلامة برستد الذى ترجمها عن الهيروغليفية إلى الإنجليزية »

٣ — مملكة إبليس « شبه ملحمة للدكتور الفاضل »

٤ — كثير من القطع القصيرة الأخرى

الرائد الأول :

لست أدرى أى الرائدين فكر لأول مرة في موضوع الشعر المرسل في مصر خاصة وفي العالم العربي عامة ، أهو الأستاذ الشاعر عبد الرحمن شكرى ، أم هو الأستاذ الشاعر محمد فريد أبو حديد ؟ ليكن أيهما شئت ، فالذى يهمني وأفرح به وأتعصب له هو أنهما أحرزا لمصر قصب السبق في هذا الميدان الجديد من ميادين النظم ؛ ولن يمنعني تعصبي للشعراء المصريين من أن أكون أول المصفقين لشعراء الشعوب العربية العزيزة حينما يظهر من بينهم هذا الشاعر الأصيل المُجَلّي الذى يبرز في الميدان ويأتي في موضوع الشعر المرسل بطرائف وغُرر تبذ طرائف وغرر شعرائنا ، مادام هدفنا هو تجديد الأدب العربي ، وتجديد الشعر العربي بوصف كونه فرعاً من فروع هذا الأدب ، وإخراجه من حدوده الشكلية والموضوعية الضيقة التي وقفت عند النهضة الأندلسية الكبرى

على أنني لا أشك مطلقاً في أن الأستاذ أبا حديد هو الشاعر

ثم يطمع ذاك المطمع ، ويغضب ويهدد ، ثم يرجع وصاحبه في ذلك اليوم سالمين

لقد بالغ الصواغون في تزويق عامر وتلوينه وتشكيله وتكبيره ، والتلوين حائل ، والباطل زائل

٥ — بعث منشئ المقامة الحارث بن عُباد من مرقده ، وأصحبه الوفد ، وقد درج الرجل قبل أن يؤمّر النعمان قومه ويُمتّعه سلطانه بخمسة عشر حولاً كما حقق ذلك المحققون ، فلم يقل الحارث لكسرى : « العرب تعلم أني أبعث الحرب قدما . . . حتى إذا جاشت نارها . . . جعلت مقادها رمحى وبرقها سيفى ورعدها زئيرى ، فأستمطرها دماً وأترك حماتها (جزر السيوف وكل نسر قشعم) » وجزر السيوف الخ مقتبس من الطويلة المنسوبة إلى عنترة بن شداد وقد استبدلت (السيوف) في (المقامة) بالسباع . وكانت وفاة الحارث المقتبس قبل وفاة عنترة بثلاثين سنة . وإن كانت تلك الطويلة الميمية إسلامية عادية فبين الوقتين دهر طويل ... (مه)

٢١ ه ٢٤

الثائر الأول الذى فكر فى نظم درامة كاملة بالشعر المرسل الذى لا يخضع لسلطان القافية ، فقد نظم درامة « مقتل سيدنا عثمان » سنة ١٩١٨ أى منذ خمس وعشرين سنة ، عندما تخرج فى مدرسة المعلمين العليا ، وعند ما وضعت الحرب الكبرى الأولى أوزارها

وقد نظمها الأستاذ أبو حديد لنفسه كما يقول فى المقدمة ... أو على حد تعبيره هو : « ... لقد كان أبعد شىء من تصورى أن تلك الرواية سوف تقع عليها عين سواى ، فإنى ما كتبتها إلا لكى ألهو بكتابتها ، أو إن شئت قلت إنى لم أكتبها إلا للذة النفسية التى كنت أجدها فى تأليفها ، فلما أن أتممتها كما رسمت وضعتها فى درج مكتبى ، وكنت لا أعيرها بعد ذلك التفاتاً ... »

وقد بقيت الرواية فى هذا الدرج المظلم المكدس بالمسودات عشر سنوات تباعاً ... ولم تر الضوء إلا سنة ١٩٢٧ حينما كان الأستاذ مدرساً بمدرسة الأمير فاروق الثانوية ، فطبعتها المدرسة لحسابها الخاص ومثلتها فرقة التمثيل بها

ونحن يسرنا أن نسجل هذا كله لفائدة تاريخ الأدب العربى الحديث ، وتاريخ الأدب المصرى بنوع خاص

وقبل أن نتناول الدرامة بشىء من التلخيص أو التحليل أو النقد ، نثبت النادرة ، أو الفكاهة الأدبية التاريخية التالية :

عندما فرغ الأستاذ أبو حديد من نظم روايته ، أو كتابتها كما يقول هو ، حملها معه ، وانطلق بها كأنه وقع على لقية ، أو اهتدى إلى الأكسير الذى أضنى كيمائيى العرب ، حتى إذا بلغ جريدة الأهرام ، دخل على الأستاذ الأديب المغفور له صادق عنبر فحدثه حديثها ، الذى هو حديث الشعر المرسل ، ثم استأذن الأستاذ فى أن يتلو عليه بعض مناظرها ... ثم انطلق فى هذه التلاوة ، وعنبر عليه رحمة الله مصغ له . منصت إليه ... وقد خيل إلى الأستاذ أبى حديد أن الأديب الكبير غفر الله له ما تقدم من ذنبه – وما تأخر أيضاً – قد أخذ فعلا بجمال هذا اللون الغريب من ألوان الشعر ، واستولى على نفسه سحره ؛ فلما فرغ الشاعر الشاب من تلاوته ، التفت إليه الأديب العتيد وتبسم قائلاً : أتدرى يا أبا حديد ؟ إن مصر لم تكسب من هذه الحرب الكبرى غير شيئين ... الشعر المرسل ... والحمى الإسبانيولية ! وكانت الحمى الإسبانية قد تفشت عقب تلك الحرب فى مصر حتى أذاقت أهلها الأمرين !

ولست أدرى لماذا نجوت أنا من براثن تلك الحمى التى أشفيت بسببها على الهلاك إذ ذاك ، ولماذا عشت إلى سنة ١٩٤٣ ، لأدعو من جديد إلى الشعر المرسل ، توأم الحمى الإسبانيولية وصنوها فى نظر المغفور له الأستاذ صادق عنبر ؟!

ترى ... ماذا كان وقع هذا اللقاء فى نفس الأستاذ أبى حديد؟ ولكن لماذا نسأل ؟ ... لقد مضى ينظم من الشعر المرسل الذى يتخلله بعض الشعر المقفى تلك الأوبريت الجميلة الرائعة « ميسون النجرية » ، والتى طبعها على حسابه هو ، لا على حساب مدرسة كذا أو معهد كذا أو لجنة كذا من لجان التأليف ... ثم مضى يترجم ثم ينظم ملحمة زهراب ورستم التى استأذن القراء فأقول إنى أكاد أحفظ أصلها الإنجليزى عن ظهر قلب لروعة أسلوبها وجمال تسلسلها وبهاء شعرها المرسل المنظوم بقلم ماثيو أرنولد الشاعر الناقد العظيم ! وقد فرغ أبو حديد من نظمها شعراً مرسلاً سوف أعرض نماذج منه فى حينه

ونقف بعد ذلك لحظة ... لقد ذكرت فى الثبت الذى وضعته بين أيدى القراء فى صدر هذا المقال للأستاذ أبى حديد ، درامة خسرو وشيرين ، ولست أدرى لماذا صنعت هذا دون أن أستأذن الأستاذ فى ذلك ، إذ أنه نظم الدرامة وأعدها للطبع ... ثم طبعها بالفعل ... وأصدرها دون أن تحمل اسم مؤلفها ! ... إذن لماذا أذيع أنا هذا الاسم دون استئذان ؟ هل صنعت ذلك دون وعى ، أو أنا إنما صنعته خدمة لتاريخ الأدب المصرى الحديث؟

ثم نتساءل بعد هذا لماذا لم يثبت الأستاذ أبو حديد اسمه على روايته ؟ قد تجد من ذلك الذى تقتطفه من المقدمة جواب هذا السؤال : « . . . وأما إذا أنت صبرت أيها القارىء ، فقرأت سطران أو سطرين أو ثلاثة من هذا المطبوع ثم قذفت به حيث أردت ، لم تكن فى ذلك بالمذور ، بل كنت متفضلاً مضحياً من أجل مجاملتى ، مع أنك لا تعرف من أنا ، وفى هذا أدب عظيم وكرم مطبوع . وأما إذا كنت قد بلغت من قوة ضبط النفس ورياضتها على المكاره بحيث استطعت أن تثبت على القراءة حتى أتيت إلى آخر كلمة ، ثم تركت لنفسك العنان بعد طول كبحها وحبسها فانطلقت تصخب وتشتم وتنادى بالويل والثبور – إذا فعلت ذلك كنت فى نظرى بطلا من أبطال العزيمة وقوة الاحتمال ، على أنك لو فعلت ذلك لم يمسسنى منك أذى ، وإن بلغت فى ثورتك مبلغاً مخيفاً لأنى قد توقعت مثل ذلك فأخفيت نفسى حتى

لا تتحرج فيما تفعل . . . . . . فافعل ما بدا لك أيها القارىء ولا تتورع فإن أحجارك أو سهامك لن تصل إلى ! »

ولا بد لنا من أن نقتطف القطعة التالية أيضاً :

« وأما إذا كنت يا أخي — ولا مؤاخذة — ممن في ذوقهم شذوذ عن المألوف مثلي فاستحليت من هـذا القول ما يمر في الأذواق أو أعجبك منه ما يقبح في الأنظار فلك رثائي وعطفي ، فالمريض يعطف على مثله ! ومن آية رثائي لك وعطفي عليك أنني أنصحك نصيحة أرجو أن تقبلها . . . فقد تعرضت قبلك من جراء شذوذي عما ألفه الناس لكثير من الألم والفشل ؛ فأحذرك من إظهار رأيك — (أي في استحسان الشعر المرسل ! — أمام أحد من الناس ولو كان من أعز أصدقائك ، فالصداقة قد لا تقوى على الثبوت مع الشذوذ في الرأي والذوق . . .) »

لماذا ياترى يتحرج صاحب مذكرات جحا ! — (وهذه غلطة عظيمة أخرى نغلطها من دون وعي) — كل هذا التحرج ويتأثم كل ذلك التأثم ؟! هل يتحرج كل هذا التحرج ، ويتأثم كل ذلك التأثم ، لأنه كما يقول شذ عن مألوف الناس في نظم الشعر ، وثار بقوافي العروض العربي ، فتعرض لكثير من الألم والفشل ؟ . . . ولكنا نسائل أنفسنا عن هـذا الألم وذاك الفشل أين هما ؟ وإن كان أبو حديد قد تعرض للكثير منهما فما باله لم ينصرف عن هذا الشعر المرسل الثقيل الغث الذي يعرض ناظمه — أو كاتبه — لألوان مرة من الألم ، وصنوف كثيرة من الفشل ؟ ما باله لم ينصرف عن هذا البلاء الذي يؤمن بأن قراءة سطر أو سطرين منه كافية لأن تضع الحصى في يد القارىء فيحصب به الناظم أو الكاتب لو رآه ؟ ما باله يطول حنينه إلى هذا النظم السمج النابي على الأذواق فيكتب به كل تلك الروايات وينظم منه هذه الملاحم التي يعترف بأن قراءة سطر أو سطرين منها تضحية من القارىء وأدب عظيم وكرم مطبوع السخاء نفس وتفضل . . . وإن القارىء إذا خرج بعد قراءة هذا وسطر أو هذين السطرين عن طوره فقذف بما نظم أبو حديد من حالق أو قذف به في نارجهنم أو نار المدفأة أو مزقه أو ألقى به من النافذة أو دفعه إلى الأطفال يعبثون به ، فهو معذور لا تثريب عليه ، لأن أبا حديد زعم له بأنه صاحب نظم جديد وصاحب رسالة جديدة — صاحب نظم جديد هو هذا النظم المرسل الذي لم يعرفه الذوق العربي فضلاً عن أن يألفه ، وصاحب رسالة جديدة هي توسيع مدى الأغراض التي يجب أن يتسع لها أفق الشعر العربي والأدب العربي جميعاً فتكون لنا درامة عربية وتكون لنا درامة عربية منظومة ، وتكون لنا درامة عربية منظومة كما ينظم الشعراء العباقرة في أوربا . . . وإذا لم يكن من ذلك بد ، فلا بد أن نقحم الشعر المرسل على الشعر العربي إقحاماً ، ولا بد أن نصعّر خدودنا للناس وأن نلح عليهم في قبول هذا الشعر المرسل حتى يعرفوه وحتى يألفوه وحتى يترنموا به كما عرفه الأوربيون وألفوه وأغرموا به من القرن السادس عشر إلى اليوم . . . لا بد أن نقحم الشعر المرسل على الشعر إقحاماً ، ويجب أن نصعر خدودنا معشر الشعراء للناس ، ويجب أن نحتمل أذاهم مهما يكن مبلغ هذا الأذى . فما حصوات نرجم بهن مرة أو مرتين ، وما كلمات من سباب لن يعتلىء بهن الهواء قط توجه إلينا هنا أو هناك ؟ سنلح عليهم كما ألح أبو حديد ، فإذا بلغ سخطهم علينا حد القتل ، لا قدر الله ، فلنمكر بهم كما مكر ، ولنمض في سبيلنا من حيث كتابة الدرامات والملاحم المنظومة بالشعر المرسل ولنطبعها لهم ولنوزعها عليهم بالمجان . . . فلنحصبهم بها كما حصبونا بالحجارة ولا داعي مطلقاً لكتابة أسمائنا — نحن معشر الناظمين أو الكاتبين — عليها . ولتكن تضحيتنا في ذلك خالصة لوجه الوطن والأمم العربية ولوجه اللغة والأدب . الأدب العربي والأدب المصري على السواء . . . ولن نعدم كاتباً كصاحب هـذا المقال يفاجىء الناس بالحق ، ويذكر لهم أننا أصحاب هذه الدرامة والملاحم الضائعة . . . ومن يدرى ؟ فقد يأتي يوم يستسمح الناس فيه رجمهم وتمسكهم بالقديم الرث . وقد يزيدون فينزعون عنهم ما نسج لهم المهلهل وذو الرمة وعلقمة النحل ليرتدوا أفوافاً من نسجنا نحن . . . وحينئذ لا نجد داعياً لهذا التخفي ، بل ربما أصابنا طائف من الزهو والخيلاء فآثرنا ركوب الجمال ليرانا الناس جميعاً ويشار إلينا بكل بنان ! وهل في ركوب الجمال شذوذ كشذوذ الشعر المرسل ؟ وهل ركوبهن خروج على مألوف الناس كخروج الشعر المرسل على المألوف المعروف من قوافي الشعر العربي ؟ ولماذا نعد ركوب الجمال شذوذاً وخروجاً على مألوف الناس مع أن المهلهل كان يركب الجمال ، والمهلهل هو الذي هلهل الشعر فيما يهذي مؤرخو الأدب العربي ، وهو الذي جمل للشعر تلك القوافي المطردة التي ما زال الناس في جميع العالم العربي يستحلونها

أوزان الشعر

١ ـ الشعر الأوربى

للدكتور محمد مندور

يخيل إلى أننا قد وصلنا الآن إلى مرحلة من نمو ثقافتنا يجب عندها أن نأخذ أنفسنا بالصرامة فيما نكتب ، فلا نتحدث إلا عن بينة تامة وتحقيق لما نقول ، بعد أن نكون قد عمقنا الفهم ، وإلا فسنظل ندهم ونتوهم أننا نعرف شيئاً نافعاً ، ونحن فى الواقع نضرب شرقاً بغرب ضالين مضللين .

وهناك مسائل لا يكفى للحديث عنها أن نقرأها فى كتاب إنجليزى أو فرنسى ثم ننقلها إلى قرائنا حسبما نظن أننا قد فهمناها . هذا لا ينبغى . ونأخذ اليوم لتلك المسائل مثلاً من «أوزان الشعر» ، كما تحدث عنها الأستاذ دريني خشبة فيما يحشد من أحاديث .

يريد الأستاذ أن يميز بين العروض الإنجليزى وغيره من الأعاريض الأوربية وبين العروض العربى، فيقول: «وبحسبنا هنا أن نذكر أن العروض الإنجليزى ، بل كل أنواع العروض فى اللغات الأوربية ، إنما أساسها التفعيلة The foot، وليس أساسها الأبحر كما فى العروض العربى » . وهذا قول لا معنى له إطلاقاً ، لأن جميع أنواع الشعر الشرقى والغربى على السواء تتكون من تفاعيل يجتمع بعضها إلى بعض ، فتتكون الأبحر والشعر العربى فى هذا كغيره من الأشعار . وإنما التبس الأمر على الأستاذ لأنه رأى الأبحر فى الإنجليزية تسمى باسم التفعيلة المكررة لها ، فيقولون Jambi meter ... الخ . وأما فى العربية فقد وضعوا لها أسماء أخرى كالطويل والبسيط وغيرها . وإذا كانت فى الشعر العربى أبحراً متجاوبة التفاعيل كالطويل أو البسيط مثلا حيث نجد التفعيل الأول يساوى الثالث والثانى يساوى الرابع ، فإن هناك أيضاً أبحر متساوية التفاعيل كالمتدارك والرجز والهزج والكامل وغيرها . وهذه وتلك كان من الممكن أن تسمى بأسماء تفاعيلها فالمسألة مسألة مواضعة . وإذا كانت فى الشعر العربى زحافات وعلل فإن الشعر الأوربى أيضاً فيه ما يسمونه بالإحلال subsitution فتراهم يضعون مقطعاً سپوندياً محل مقطع داكتيلى أو مقطع إيامبى، وفى الشعر العربى والشعر الأوربى مماً لا يغير هذا الإحلال من اسم التفعيل الأصلى . وإذن فكل الأشعار من هذه الناحية لا تختلف فى شىء .

وإنما تتميز الأشعار ببينة التفاعيل ، وهنا نلاحظ أن الأستاذ خشبة لم يدرك بأذنه حقيقة الشعر الإنجليزى ، وكان السبب فى ذلك اعتماده فيما أرجح على قواميس اللغة الإنجليزية ، فقد قرأ فى أحد كتب العروض الإنجليزى أن هناك شعراً تتكون تفاعيله فى الأيامب ، وشعراً تتكون تفاعيله من الداكتيل . . . الخ . مما يجده القارىء فى هامش مقاله ، وبحث فى القاموس فوجد أن الأيامب عبارة عن وحدة من مقطعين ،

ولا يرون الفكاك من أغلالها ، فلماذا لا نركب الجمال العالية كما كان يصنع المهلهل ...

وندع المهلهل الذى لم يفرض على الناس شعره وقوافيه ، ونعود إلى أبى حديد نسائله عن هذا الشعر المرسل ، وعن طول حنينه إليه ، وما باله يذكر النضال عن هذا الشعر عند ما تصدر مجلة الرسالة فينشر فى سنتها الأولى استفتاء عاماً يجعل موضوعه ترجمة نثرية لخطبة أنطونى فى درامة يوليوس قيصر لشيكسبير ـ والترجمة بقلم الأستاذ الجليل محمد حمدى بك ـ ثم ترجمة للخطبة نفسها بالشعر المرسل بقلمه هو ... فيما كان هذا الاستفتاء إذن ؟ وفيم كانت محاولة إغراء الناس أو مغازلة أذواقهم بموضوع هذا الشعر ؟ لقد كانت نتيجة الاستفتاء نصراً شبه كامل لشعر أبى حديد ، فما الذى ثناه عنه يا ترى ؟ وما الذى أقعده عن المضى فيه ؟ ولماذا حرم أبو حديد أدبنا المصرى الحديث من طرفه الرائعة ، ومن روحه الدرامية الناضجة ، ومن فكاهته العذبة السائغة ، ومن فنه المسرحى المتفتح ؟ لماذا تصدر درامته ـ « خسرو وشيرين » ـ دون أن تتشرف بحمل اسم صاحبها ، صاحبها الثائر الأول الذى ينبغى أن يحفظ له تاريخ الأدب المصرى هذا الجميل الخالد ، وتلك اليد النقية المباركة ، ... وإلى متى تظل ملحمة « زهراب ورستم » حبراً على ورق ؟ وكيف ينتصر ترسينو فى إيطاليا سنة ١٥٥١ وينهزم أبو حديد وشعراء النظم المرسل فى مصر فى القرن العشرين ؟

ولكن ما هو هذا الشعر العربى المرسل الذى من أجله عقد هذا الفصل ؟

ذلك مالا يتسع له مجال القول الآن .

دريني خشبة

أولها قصير والثاني طويل وهكذا . وفاته أن هذه التعاريف لا تنطبق على الشعر الإنجليزي بسهولة ، وإنما هي خاصة بالأشعار اليونانية واللاتينية ، ففي هاتين اللغتين تتميز المقاطع بعضها عن بعض بالطول والقصر ، وأما اللغة الإنجليزية واللغة الألمانية فتتميز مقاطعها قبل كل شيء بالارتكاز الصوتي stress ؛ فهناك مقاطع تنطق بضغط وأخرى بغير ضغط ، وعلى هذا يكون الأيامب وحدة من مقطع لا يحمل ارتكازاً وآخر يحمله . ومن ثم لا يكون الشعر الإنجليزي « شعراً كمياً quantitatine » بل « شعر ارتكاز stressed » ، وهذا هو الرأي المعتمد .

وفي موضع آخر يقول الأستاذ : « ويفضل بعض الشعراء البحر الأسكندري نسبة إلى الإسكندر الأكبر القصائد التي نظمت فيه من هذا البحر . ويؤثر شعراء المأساة الفرنسيون النظم من هذا البحر إطلاقاً وهو يتكون من اثني عشر مقطعاً (ست تفعيلات إيامبية مقطعين) . » وهذا القول أيضاً يدل على أنواع من عدم الدقة بل ومن الخطأ البين . فعدم الدقة نجدها في شرح سبب تسمية هذا البحر فهو ليس نسبة إلى الإسكندر الأكبر بل نسبة إلى رواية بالذات كتبت في القرن الثاني عشر بفرنسا « عن الإسكندر الأكبر Le roman d'Alexandre » ومنها لأول مرة استعمل هذا البحر بدلاً من الأبحر الأقصر منه التي كانت مستعملة في القرون الوسطى . وأما الخطأ ففي ظن الأستاذ أن البحر الأسكندري في الشعر الفرنسي يتكون من ست تفعيلات إيامبية مقطعين ، فهذا لا وجود له في الشعر الفرنسي ومن المعلوم أن اللغة الفرنسية قد فقدت منذ قرون : (١) الكم فلم تعد هناك مقاطع طويلة ومقاطع قصيرة إلا في حالات نادرة في أواخر الكلمات مثل âge ومن المسلم به عند الفرنسيين وعند جميع من كتبوا عن الشعر الفرنسي إن هذا الشعر لا علاقة له بكم المقاطع (٢) الارتكاز فألفاظ اللغة الفرنسية لم تعد تحمل ارتكازاً stress ، وإنما يوجد ارتكاز في أواخر الجمل ، فكل جملة فرنسية أو شبه جملة تنتهي بارتكاز نحس أنه ارتكاز شدة وارتفاع معاً إلا في حالة الوقف ، فإنه يعتبر ارتكاز شدة فحسب . فمثلاً جملة cette maison est très belle لا نجد منها غير ارتكازين اثنين أولهما على on والآخر على bel ، والارتكاز الأول ارتكاز شدة وارتفاع في الصوت ، وأما الثاني فشدة فقط لأن الارتفاع يسقط للوقف . وإذن فالشعر الفرنسي ليس شعراً كمياً ولا شعراً ارتكازياً لسبب واضح هو أن مقاطع تلك اللغة لا تتميز بكم ولا ارتكاز . الشعر الفرنسي يسمونه بكل بساطة « شعر مقطعي syllabique» ...

من هذه الملاحظات يتبين لنا أن هناك ثلاثة أنواع من الشعر كنا نحب من الأستاذ خشبة ما دام قد أراد أن يبصرنا بحقائق الأوزان أن يميز بينها لنحاول بعد ذلك أن نرى أين يقع منها الشعر العربي ، وبذلك قد نستطيع أن نساعد على ظهور أنواع جديدة من الشعر العربي تمكن شعراءنا الكبار الذين يعجب بهم الأستاذ من إجادة فنهم حقاً . وعندئذ سنرى المسرحيات تكتب شعراً كما كانت تكتب منذ ثلاثة قرون ، ونكون بعملنا هذا قد أثبتنا للعالم المتحضر أنهم مخطئون في عدم استمرارهم على استخدام الشعر في المسرحيات .

هذه الأنواع الثلاثة هي : (١) الشعر الكمي (٢) الشعر الارتكازي (٣) الشعر المقطعي

أما النوع الأول فهو الشعر اليوناني واللاتيني القديم ، وأما النوع الثاني فهو الشعر الإنجليزي والألماني ، وأما الثالث فهو الشعر الفرنسي

الشعر الكمي :

لنأخذ لذلك مثلاً بيت فرجيليوس في الأنيادة :

Infandum regina iubes renovare dolorem(١)

نجده مكوناً من ستة تفاعيل ، وكل تفعيل مكون من مقطعين طويلين (سبونديه) ، أو مقطع طويل ومقطعين قصيرين (داكتيل) ، ما عدا التفعيل الأخير فقطعه الأخير قد يكون قصيراً ويكتفى به لأن الوقف يعوض المقطع الآخر القصير الذي حذف . وإليك التقطيع مع رمزنا للمقطع الطويل بالعلامة — وللمقطع القصير بالعلامة =

Infan - dum re-gina iu-bes reno - vare do-lorem

وأما الأساس الذي يعتبر به المقطع طويلاً أو قصيراً فيرجع إلى الحرف الصامت voyelle ؛ فإذا كان طويلاً بطبيعته كما هو الحال في بعض الحروف اليونانية ، أو كان حرفاً مزدوجاً

(١) هذا البيت في مطلع الأغنية الثانية من الأنيادة وترجمته « أيتها الملكة إنك تأمرين بتجديد الم لا تمكن العبارة عنه » . قاله إينوس بطل الملحمة عند ما طلبت إليه ديدون ملكة قرطاجنة أن يقص عليها نبأ ما كان من تدمير الأغريق لمدينة طروادة وطن البطل الأصلي .

المشكلات

١٠ – اللغـــة العربية

للأستاذ محمد عرفة

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

لقد كان يكفينى ما قدمته من الأدلة على فساد الطريقة الرسمية فى تعليم اللغة العربية ، وعلى صحة الطريقة التى بينتها وأفضت الكلام فيها ، ولكنى أعلم أن المألوف شديد انتزاعه ، وأن النفوس تكره العدول عما وجدت عليه الآباء والأجداد إلى شىء لم يكونوا عليه ، وربما خيل إليها أن السلف الماضين لم يؤثروا هذه الطريقة على ما عداها إلا لفضلها وكفايتها ، وأن العدول عنها إلى غيرها عدول عن الحق النافع إلى الباطل الضار ، ولو كان فى هذا الجديد خير لسبق إليه الأولون

وإنى أريد أن أبين أن الطريقة التى ندعو إليها هى طريقة العصور الزاهرة لسلفنا الماضين ، وأنها لم تتغير إلى الطريقة التى نشكو منها إلا فى عصور الضعف والتأخر العلمى ، وأريد أن أذكر من أقوال السلف ما يشهد بتفضيل هذه الطريقة على طريقة القواعد والقوانين لأونس القلوب بأن ما أدعو إليه ليس شيئاً أنا ابتدعته وإنما هو شىء كان يعلمه رجال العلم والتربية من آبائنا السابقين

وأريد بعد ذلك أن أذكر بعض أقوال رجال التربية من علماء الغرب فى هذا الموضوع لأبين أن العقل والدليل ورجال العلم فى القديم ، ورجال التربية فى الحديث وعلماء الشرق والغرب على أن اللغات إنما تكتسب بالتكرار والحفظ والتعهد والدربة وأن القواعد والقوانين لا تكسب ملكة اللغة

أول كتاب وضع فى نحو اللغة العربية وعكفت عليه الأجيال هو الكتاب لسيبوية ، وهو كتاب ملىء بالشواهد من كلام العرب ، شعرها ونثرها ، وكلام الله وكلام الرسول ، وأبياته تزيد على الألف ، وكان الدارس له يحفظ أبياته وشواهده ويدرس قواعده ، فيكتسب ملكة اللغة بما يحفظ من المنظوم والمنثور ، ويعلم قوانينها بما فيه من القواعد ، ولم يكن النحوى هو من عرف القواعد فحسب ، بل كان النحوى هو من عرف القواعد ، وحفظ أشعار العرب ، وعلم تخريجها ، وحفظ أيامهم وخطبهم وحكمهم ومساجلاتهم ؛ ولذلك كان اسم النحوى مرادفا لاسم الأديب ، وألف العلماء كتباً فى تراجم النحويين سميت باسم طبقات الأدباء ، كما فعل ابن الأنبارى فى كتابه نزهة الألباء فى طبقات الأدباء – وإذا قرأنا ترجمة من تراجم أساتذة النحو فى عصوره الأولى كالمبرد والكسائى والفراء وابن جنى بهرنا ما نرى من حفظهم وإتقانهم واطلاعهم على شعر العرب والمحدثين واستيعابهم لغة العرب ، والملكة التى جاءتهم من مزاولة هذه اللغة ، فما من غريب إلا وهم به محيطون ، وما من شاهد أو مثل إلا وهم به عالمون ، وما من أسلوب إلا وهم عارفون بمعناه قادرون على تخريجه

ولم يكن الأمر كذلك فى النحو فقط بل كان أيضاً فى البلاغة ، فأول كتاب ألف فى البيان العربى وصل إلينا هو البيان والتبيين لأبى عمرو عثمان بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ وهو كتاب حوى من الأشعار والخطب والأحاديث والأمثال

---

diphtonque ، أو كان ناتجاً عن إضمام حرفين صامتين ، أو كان متلواً فى نفس المقطع بحرف صامت consonne ، اعتبر المقطع طويلاً وإلا فهو قصير . وفى القواميس الجيدة نجد دائماً كم الحروف الملتبسة

ونحن لا نريد أن نطيل فى تحليل موسيقى هذا النوع من الشعر . فهى لا شك لا تقف عند التفاعيل والمقاطع بل لا بد لها من إيقاع rythme ينتج عن وجود ارتكاز شعرى يسمى ictus ، وهو يقع على مقطع طويل فى كل تفعيل . كما أن هناك وقفاً هاماً فى كل بيت يشبه الوقف على الشطر فى البيت العربى . وهو فى البيت السابق يقع بعد المقطع السابع كما وضحنا بالعلامة = والواقع أن أوزان الأشعار اليونانية واللاتينية معقدة صعبة حتى بالنسبة لمن يتقنون تلك اللغات وذلك لأن نطقها غير معروف على وجه دقيق ، ومن باب أولى عناصرها الموسيقية . ولهذا نكتفى بما ذكرنا معتذرين عن اضطرارنا إليه تكملة للعرض .

(للكلام صلة) محمد مندور

والمساجلات ما هو كفيل بتربية ملكة البيان ، والكتب التي وضعت بعده كالبديع لابن المعتز ، ونقد الشعر لأبي الفرج قدامة ابن جعفر ، والصناعتين لأبي هلال العسكري ، كلها كتب ملئت بالشواهد والأمثلة ، ومتنوع الأساليب ، وقد عنوا بذلك ولزموه وحافظوا عليه ثقة منهم بأن كسب ملكة البيان إنما تكون بحفظ الأساليب التي استكملت شروط البلاغة ، وابن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر حذر دارس كتابه أن يقتصر على القواعد التي في الكتاب ، وأوجب عليه أن يكتسب الذوق الأدبي بالاطلاع على بيان العرب من منظوم ومنثور والإكثار من حفظه وممارسة أساليبه ؛ قال في مقدمة كتابه : ومع هذا فإني أتيت بظاهر هذا العلم دون خافيه ، وحمت حول حماه ولم أقع فيه ، إذ الغرض إنما هو الحصول على تعليم الكلم التي بها تنظم العقود وترصع ، وتخلب العقول فتخدع ، وذلك شيء تحيل عليه الخواطر ، لا تنطق به الدفاتر . واعلم أيها الناظر في كتابي أن مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم ، الذي هو أنفع من ذوق التعليم ، وهذا الكتاب وإن كان فيما يلقيه إليك أستاذاً ، وإذا سألت عما ينتفع به في فنه قيل لك هذا ، فإن الدربة والإدمان أجدى عليك نفعاً ، وأهدى بصراً وسمعاً ، وهما يريانك الخبر عياناً ، ويجعلان عسرك من القول إمكاناً ، وكل جارحة منك قلباً ولساناً ، فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك ، واستنبط بإدمانك ما أخطاك ، وما مثلي فيما مهدته لك من هذه الطريقة إلا كمن طبع سيفاً ووضعه في يمينك لتقاتل به وليس عليه أن يخلق لك قلباً ؛ فإن حمل النصال ، غير مباشرة القتال

وإنما يبلغ الإنسان غايته   ما كل ماشية بالرحل شملال

وكان كلما أفرط القوم في درس القواعد والتعمق فيها ظهرت آراء تدعو إلى القصد في درسها والاقتصار منها على ما أقام الألسن . قال ابن السكيت : خذ من الأدب ما يعلق بالقلوب ، وتشتهيه الآذان ، وخذ من النحو ما تقيم به الكلام ، ودع الغوامض ، وخذ من الشعر ما يشتمل على لطيف المعاني ، واستكثر من أخبار الناس وأقاويلهم وأحاديثهم ولا تولعن بالغث منها

وقال الجاحظ في رسائله : «فصل في رياضة الصبي ، وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه ، وشعر إن أنشده ، وشيء إن وصفه ، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ، ومذهل عما هو أرد عليه منه ، من رواية المثل للشاهد ، والخبر الصادق ، والتعبير البارع . وإنما يرغب في بلوغ غايته ، ومجاوزة الاقتصاد فيه ، من لا يحتاج إلى تعرف جسيمات الأمور ، والاستنباط لغوامض التدبير لمصالح العباد والبلاد ، والعلم بالقطب الذي تدور عليه الرحى ، ومن ليس له حظ غيره ، ولا معاش سواه . وعويص النحو لا يجدي في المعاملات ، ولا يضطر إليه شيء »

وقد وجد شعور منذ زمن طويل بتفضيل تعلم اللغة بالملكة على تعلمها بالقواعد ، عيب على عمار الكلبي بيت من شعره فامتعض وأنشد أبياتاً منها . .

كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم   وبين قوم على إعرابهم طبعوا

فهذا الشاعر قد فاضل بين الطريقتين ، وفضل الطريقة العملية على الطريقة العلمية التقريرية

وكان الناس يأخذون ألسنتهم بالإعراب ، ويلتزمون العربية في كلامهم . وكانوا يعيبون من يلحن ويحفظونه عليه ويتحدثون به . وما زال الأمر كذلك في النحو والبلاغة حتى نبتت في العصور المظلمة تلك الخرافة التي تقدس القواعد وتجعلها كل شيء في تعليم اللغة وتربية ملكتها ؛ وأعطتها قوة العصا السحرية ، فما هو إلا أن يضرب المرء بها حتى يستحوذ على لغة العرب ، فيكتب بها ويخطب ويساجل وينظم الشعر ، فأكثروا من القواعد وأقلوا من عرض المثل والشواهد والأساليب ، وورثنا نحن عنهم هذه الطريقة وسرنا عليها حتى الآن

ورجال التربية في القديم والحديث والشرق والغرب طالما دعوا إلى تعليم اللغات بالحفظ والتكرار والمرانة والدربة ، وبينوا أن القواعد والقوانين لا تعلم اللغة ولا تكون ملكتها ، وطالما نددوا بهذه الطريقة التقليدية ، وبهذا الأسلوب العقيم في تعليم اللغة ؛ فابن خلدون الفيلسوف الاجتماعي م ٨٠٨ هـ بين في مقدمته أن اللغة ملكة ، وأن الملكات لا تكتسب بالقواعد ؛ إنما تكتسب بالحفظ والتكرار . قال في فصل عنوانه « أن اللغة ملكة صناعية » اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة ؛ إذ هي ملكات

فى اللسان للعبارة عن المعانى ... (والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال ، لأن الفعل يقع أولا ، وتعود منه للذات صفة ، ثم تتكرر فتكون حالا ، ومعنى الحال أنهـا صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملـكة ، أى صفة راسخة) ، ثم بين أن ملـكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها فى التعليم ، وكان حريًا بأهل القرن الثامن وما تلاه من قرون أن ينتفعوا بآرائه وبما بسطه هذا العالم المجدد ودعا إليه من آراء فى التربية ، ولـكن ابن خلدون رجل سبق عصره فلم تنتفع به أمم الشرق ، ومن المؤلم أننا فى عصرنا الحديث لم نفك قيود التقليد ، وننفض عنا غبار الـكسل ، ونحرر أنفسنا من هذه الطريقة التى تلاحقنا نتائجها إخفاقا بعد إخفاق ، وخيبة أثر خيبة

هذا حديث الشرق وحديث الغرب أعجب ، فما من كاتب كتب فى التربية إلا وأنحى على طريقة القواعد ، ورأى أن اللغة لا تعلم إلا بالحفظ والمحادثة ؛ فروسو رجل الفكر الفرنسى فى القرن الثامن عشر نبه فى صراحة على أن اللغات يجب أن تعلم بواسطة المحادثات لا بواسطة الصرف والنحو . والدكتور غوستاف لوبون المفـكر الفرنسى ذكر فى كتابه روح التربيـة أن الأمم الراقية لا تأخذ التلاميذ فى تعليم اللغات بكتب النحو وإنما تأخذهم بالـكلام المألوف . ثم قال وهذه الطريقة لا تحرم التلاميذ درس النحو . فهو يدرس النحو أحسن درس بهذه الطريقة اللاشعورية التى تحول النحو إلى ملـكة راسخة لا إلى تـكلف وتعمل ...

ودعا سبنسر الفيلسوف الإنجليزى فى كتاب التربية إلى تعليم اللغات بأسلوب أشـبه بسنن الطبيعة التى يتعلم بها الطفل لغته الأصلية بلا معين ولا مرشد فيضمحل التعليم بواسطة القواعد ويعتاض عن ذلك بطرق ناجعة ، وذلك ما أفضى إلى تأجيل تعليم علوم النحو والصرف والبلاغة للطلاب . واستأنس فى ذلك برأى المسيو مارسيل الذى ذهب فيه إلى أن علوم النحو والصرف والبلاغة ليست مما يبتدأ به فى تعليم الأطفال ، ولـكنها متممات ومكملات . ثم قال سبنسر : وقصارى القول أنه لما كانت علوم النحو والصرف والبلاغة إنما نشأت بعد تكون اللغة كان من الواجب أن يتلقاها التلميذ بعد تـكون اللغة ، وسوى هؤلاء كثير من رجال التربية فى العصر الحديث

إن أساليب التعليم والتربيـة التى تسير عليها أمة من الأمم هى خير مقياس لعقليتها وثقافتها ومقدار نضوجها ، فإن كانت تجرى على قوانين العقل والوجود وتساير الرقى الإنسانى العـام ، وتلائم روح طبائع الأشياء ، استدللت بذلك على ثقافتها ورقيها ؛ وإن كانت تخالف ذلك أمكنك أن تحكم على الأمة بالتأخر فى مضمار الحياة . وبالضعف فى شتى مناحيها العقلية والاجتماعية والسياسية ، وإن الأمم الرابضة حولنا ، والمتطلعة إلينا ، والتى تخالطنا وتجاورنا لتحكم علينا بما نصطنعه من أساليب فى التربية والتعليم ؛ فلنأخذ بالأسلوب المطابق لطبائع الأشياء وقوانين الوجود فى تعليم اللغة العربية ، إن لم يكن لإتقان اللغة والتوفيق فى تعليمها ، فلاتقاء حكم الأمم علينا بالتأخر فى مضمار الحياة .

محمد عرفة

حكمت محكمة مديرية جرجا العسكرية فى الجنحة ن ٧٣ سنة ١٩٤١ طهطا بتغريم فرغلى حسن على من طهطا ٥٠٠ قرش ونشر الحـكم بمجلة الرسالة لأنه باع قمحاً بسعر أزيد من المحدد فى جدول الأسعار

٢ ـ جامع احمد ابن طولون

[حديث ألقى فى نادى النجادة فى ليلة القدر]

للأستـــاذ أحمد رمزى بك

قنصل مصر فى سوريا ولبنان

إنه لمن غير المستصعب والمستغرب أن يقيم رجـل العصبية دولة بين أهله وعشيرته ، ولـكن أن يخرج رجل وحيد ينحدر من سلالة فى أواسط آسيا ، فيؤسس ملـكا عريضاً يضم مصر والشام والثغور والعواصم ، ويسيطر بذكائه وفطنته فيقود ، وينتصر ، وتخضع له الخاصة والعامة ، وتدين له الرقاب ويقارع أكبر سلطة شرعية ، ذلك أمر لا يتم إلا لرجل قد امتاز عن كافة الناس وخصته العناية بصفات من الأخلاق والمزايا النفسية لا تتوفر فى غيره

ويذكرنى ذلك بما كتبه أحد مفـكرى الغرب عن عظماء الرجال فى القرن العشرين إذ قال : إن هناك قوات جامحة من قوى الطبيعة تسبح فى فضاء هذا الـكون ، فتصيب الرجل العظيم الذى هيأته العناية لدور فاصل فى تاريخ الإنسانية ، فتراه قد استيقظ إذ لمسته وأفاق فقبض على هذه القوى بكلتا يديه ، فدانت له الجماعات وخضعت لمشيئته ، فإذا هو على رأسها يسخر هذه القوى ويدفعها إلى الأمام فيغير مجرى الحوادث ويكتب التاريخ كما يشاء ، ذالـكم هو أبو العباس احمد بن طولون ، رجل من عظماء التاريخ العربى ملك مصر وقاد وانتصر

ولسنا فى موضوع الحديث عنه ولا عن أعماله لنؤرخ له ، وإنما نحن فى مقام التعريف لذلك الرجل الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى ، وإذا كان لى أن أختم هذه الـكلمة وما أصعب على النفس ختمها فما لى سوى ترديد قول شوقي فى شعره الخالد عن الزعيم مصطفى كامل إذ ينطبق على أميرنا ابن طولون :

هو ركن مملـكة وحائط دولة ... وقريع شهباء وكبش نطاح

وأنتقل الآن إلى الجزء الثانى من هذه المؤانسة فأحدثـكم عن زيارتى لجامع ابن طولون

كان ذلك فى خريف العام الماضى ، حينما حللت بالقاهرة المعزية ، وكان وقت الأصيل حينما توجهت إلى جامع ابن طولون وارتقبت ذلك لأرى أثر أشعة الشمس وقت غروبها ، وما تلقيه من روعة ، على منظر القاهرة ، فإن رؤية مآذنها العالية وقباب مساجدها التى تعد بالمئات مما يدخل فى قلبى رهبةً وإحساساً فائضاً وحنيناً إلى الماضى وعوداً إليه

ولما صعدت إلى قمة المنارة نظرت إلى أطراف المدينة من مشهد السيدة نفيسة والإمام الشافعي ، إلى القلعة فالسلطان حسن والرفاعى ، ثم إلى جامع الجاولى حيث أعجبنى هذا التناسق البديع الفائق الحد الذى يبدو بالنظر إلى القبتين المتجاورتين إذ هما قطعتان من قطع الفن العربى الخالد

ولا أحدثك عن الذكريات التى غمرتنى ساعتئذ وإنما تساءلت كيف حفظت العاصمة كل هذا التراث العربى العظيم ؟ وكيف خرج من كل أدوار التاريخ خالداً ، وهو يدافع المحن ويسمو على طوفان الحوادث ؟

ولا بأس من إيراد حديث دار مع سيدة من كبريات سيدات الغرب ، وقت أن نزلت من المنارة واتجهت إلى صحن الجامع ، فقد كانت جالسة على كرسى فحيتنى أحسن تحية ، ثم قالت لى كالمعاتبة لغيرى :

« متى بلغ اهتمامكم بآثاركم العربية هذا الحد حتى أتيت من بيروت لتقضى أجازتك السنوية ، ووقت راحتك فى منادمة أطلال الماضى وما درس من آثاره ؟ »

قلت : بلى أحن إلى هذه الجدران ، وأعرف نقوشها ، وهذه المأذنة والمحاريب وهذا المنبر الذى وضعه حسام الدين لاشين ، وما شعرت يوماً بأنى غريب عنها ، بل هى عندى صورة من صور الماضى الباقى الذى يفيض حياة ، ويلازم فكرى ، واستمد منه قوة على قوة ، وأسير فى هداه ، وأستعير منه الحجة لأقرع بها الحجة ...

ولما تركتها متجهاً إلى الأروقة قلت يا لله ! إن المساجد لله ، وهي مع ذلك تعلو علواً كبيراً ، ليغمرها العز والسؤدد والمجد ثم تهبط إلى التدهور والتفكك والنسيان حتى يقيض الله لها من ينتشلها من وهدتها . فلنتعرف إلى بعض الشيء من عظمة هذه الجدران ...

لقد حمل هذا الثرى الذي أسير عليه ابن طولون وملكه ، وطالما ازدحم هذا الصحن بالأمراء والجند والعامة ، ولو نطقت هـذه الجدران لحدثتنا حديث رجال الفقه والتفسير والحديث الذين اجتمعوا هنا لسنين خلت . ولأعادت علينا آيات الكتاب الكريم التي رتلت أصوات المؤذنين والشيوخ والقراء التي ذهبت في أعماق الماضي البعيد . أين صناديق المصاحف الطولونية والشمعدانات التي وضعها الحاكم بأمر الله ؟

أين القناديل المعلقة بالسلاسل التي وصفها المؤرخون ؟

أين الأبسطة والفرش من عبدانية وسامانية التي أمر بها ابن طولون وخص بها المسجد ؟

أين جماهير المصلين وحلقات الدرس والتلاوة ؟

ووقفت أمام المحراب الكبير ، وقلت هنا صلى بالناس ، عندما كمل الجامع ، القاضي بكار بن قتيبة إماماً ، وهو مفخرة من مفاخر القضاء المصري في القرن الثالث ، وهدية البصرة لمدينة مصر

وعلى منبر في مكان هذا قام أبو يعقوب البلخي يوم الافتتاح خطيباً ؛ ثم جاء الربيع بن سليمان ، وهو من تلامذة الشافعي رضي الله عنه ، بل من أحبهم إلى قلبه ، فافتتح دروسه في إملاء الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام

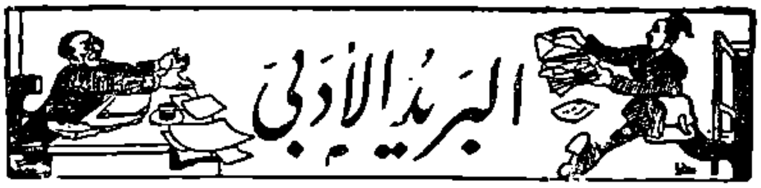
« من بنى لله مسجداً ولو كفحص قطاة ، بنى الله له بيتاً في الجنة » .

ففي أي ركن من هذه الأركان كان هذا الدرس ؟

وأين اللوحة التذكارية لهذا اليوم ؟

لا بد أن يكون مكان هـذا الدرس على مقربة من المحراب الكبير ، فلنتمهل ولنترحم على صاحب الدرس، وعلى شيخه وأستاذه .

(للحديث صلة) **أحمد رمزي**



مسابقة الأدب العربي

سأثور على الكسل وأشرح الكتب المقررة لمسابقة الأدب العربي في هذه السنة، على نحو ما صنعت في السنوات الماضية، مع الثناء على من أثاروني يوم تجمهروا حولي في جمعية الشبان المسلمين، ومع الثناء على الخطاب الوارد من دمياط

والغاية واضحة، وهي أن أساعد فريقاً من الطلبة على انتهاب جوائز وزارة المعارف، وسينتهبونها بأيسر مجهود بعد إدراك ما أقدم إليهم من التوجيهات. والله هو الموفق

سأبدأ في الأسبوع المقبل بنقد كتاب « قادة الفكر » للدكتور طه حسين بك، ثم أمضي إلى نقد سائر الكتب المقررة في الحدود التي يسمح بها الوقت، وسيسمح الوقت لأن الامتحانات التحريرية ستقع في الرابع والعشرين من فبراير المقبل، ثم تقع الامتحانات الشفوية بعد ذلك بأيام أو أسابيع.

وسأسكت عن كتاب « المختار » للمرحوم الشيخ عبد العزيز البشري، لأني تكلمت عنه بإسهاب في العام الأسبق ويستطيع المتسابقون أن يرجعوا إلى حديثي عنه بمجموعة الرسالة في مكتبات المدارس الأميرية

ولا يفوتني أن أنص على أن الذين يختارون كتب المسابقة للأدب العربي — وهم رجال فضلاء — لم ينسوا في أي عام كتب الدكتور طه حسين، وكتب الأستاذ أحمد أمين، ولم يفتهم النظر إلى الكتب المودعة بمخازن لجنة النشر والترجمة والتأليف ؟

أنا لا أعترض، وإنما أسجل ظاهرة أدبية، ولا حرج على من يصدق في تدوين التاريخ .

زكي مبارك

إلى الأستاذ محمد عرفة

أخي العزيز

قرأت فصولك في اللغة العربية بإمعان. وكلما تم فصل منها أترقب غيره بشغف حتى بلغت تلك الفصول التسعة عدداً.

وهنا أشفقت ألا تطلع علينا بجديد منها فبادرت إليك لأبدي لك شعوري نحو هذا الإصلاح المنشود. وهو إحياء اللغة الفصحى وجعلها ملكة يلهج بها اللسان دون تكلف ...

إني أخاطبك الآن كأخ لأخيه أو بالحرى كانسان لنفسه .

أخي العزيز ...

إن لغتنا هي من أبدع اللغات وأغناها ؛ ولكنها كالكنز الدفين الذي لا يتمتع به أصحابه . إذا أشقينا النفوس بدراستها السنين تلو السنين فلن نفوز منها بطائل يشفي تلك النفوس وينعشها ويحررها من ذلك النقص الذي تشعر به أبداً وقد أورثها تلك الأدواء التي يصفها لنا علم النفس الحديث

إن لغتنا الفصحى سهلة ؛ بل سهلة جداً ؛ ولكن الصعب فيها كما بينت يا أخي في فصولك التسعة في الرسالة الغراء — أنها لم تصبح بعد ملكة عندنا ... ولكن ...

ألا ترى يا أخي أن الفصحى إذا تناولها الجمهور أفسدها . إن لما بين أيدينا اليوم من كتب وصحف ومجلات . أكثرها فصيح الأسلوب، ولكن هذا الفصيح كتب عليه الفشل . إنه لا يقوى على النهوض إذا خاطب عيون القراء ... لماذا ... لأن الخط الحاضر (الكتابة) هو الذي أفسد اللغه

فلو كان الخط أميناً لصور لنا الكلام بأمانة مطلقة تصويراً كاملاً واضحاً لا لغز فيه ولا إبهام . ثم لو كان الخط أميناً ... لكانت الفصحى منتشرة على كل لسان

وكيف نكتب الفصحى بالمران والتكرار عن طريق القراءة التي لا نهاية لها لو ظلت هـذه تقدم لنا صباح مساء بخط مبهم العلامات والضوابط ..؟

أتريد أن تنشر الفصحى يا أخي، قبل أن تحررها من سجن الخط الحاضر . إن الفصحى كادت تموت بين جدران الخط العربي الحاضر المبهم الذي لا ضابط له ولا شكل .

أراني وقد أطلت عليك الحديث مرغماً بعد العذر أن أرجو ملحاً ألا توصد ذلك الباب قبل أن تكمل فصولك الممتعة في هذه المجلة موجهاً عنايتك توجيهاً خاصاً إلى حل مشكلة الخط أو الكتابة الحاضرة ولك مني وللرسالة الغراء ألف شكر

ا . عطارى

المهرجان الأدبي بالسودان

يسرني أن أزف إلى الناطقين بالضاد في كل قطر ومصر، وإلى أبناء العروبة أجمعين، وإلى المتحرقين شوقاً لمعرفة سير موكب النهضة الأدبية في السودان، أن المهرجان الأدبي الخامس قد تم بمعونة الله إخراجه للناس بنادى الخريجين بالخرطوم في ثاني وثالث أيام عيد الفطر المبارك في حلة زاهية قشيبة وبطريقة مبتكرة جذبت إليه الجمهور المثقف أمام تلك الدار الزاهرة. في ذلك اليوم المشهود خلق كثير أتوا من كافة أنحاء السودان لشهود هذا العيد الثقافي الجيد الذي أصبح الناس هنا يعدونه عيداً قومياً له دلالته ومعناه. والحقيقة أنه جدير بهذه العناية وهذا الاهتمام

أجل أقيمت تلك السوق الأدبية الحافلة فألقيت البحوث الأدبية والتاريخية والعلمية، وأنشدت القصائد، وعرضت اللوحات الفنية، وترنم المغنون بأغانيهم الشجية، كما أنشد نشيد المهرجان. ولا يفوتنا أن نذكر أن موسيقى الجيش المصري كانت تشنف الأسماع بحلو الأنغام وعذب الألحان فقوبلت تلك المساهمة من رجال الجيش المصري البواسل بالتقدير والحمد

وهناك ملاحظة جديرة بالذكر وهي أن أدباء مصر لم يساهموا في هذا المهرجان ولم يبعثوا بأي إنتاج فكري كما اشتركوا في المهرجان الماضي؛ ولم نسمع صوتاً لباقي أبناء البلاد العربية. فعسى أن نسمع أصوات هؤلاء جميعاً في المهرجان المقبل بإذن الله

ولقد كان المهرجان الأدبي حديث المحافل والمجتمعات في أيام العيد، بل حديث القطر بأجمعه، لأنه حدث أدبي جليل الشأن في النهضة الحديثة في السودان؛ فللأدب الآن دولة بالسودان لها رعية وأنصار

ويلذ لي أن أذكر أن المهرجانات الأدبية تقام عندنا هنا في كل عيد فطر. ولقد أقيم المهرجان الأدبي الأول بمدينة واد مدني عاصمة مديرية الجزيرة، ثم انتقل المشعل إلى أم درمان العاصمة الوطنية، ولم يتم إخراج المهرجان الثاني لأسباب قهرية، ولكن المهرجان الثالث قد أقيم في نفس المدينة أي أم درمان، ثم سلمت المشعل إلى نادى الخريجين بالخرطوم في العام الماضي فدأب أشبال النادي يعملون لإخراج المهرجان الرابع؛ لكن الأمنية لم تتحق لأسباب طارئة. وفي هذا العام تمكن النادي عينه من إخراج المهرجان الخامس الذي نحن بصدد الحديث عنه

ولعل من المفيد أن أذكر أن نادى الخريجين بواد مدني هو الذي أخرج المهرجان الأول وهو صاحب الفكرة نفسها، ونادى الخريجين بأم درمان هو الذي أقام المهرجان الثالث، كما أرى من الإنصاف أن أقول إن الخريجين في كل مدينة في السودان هم مصدر الحركة والنشاط والنهضة

أما المهرجان الأدبي السادس الذي يجب أن يقام في عيد الفطر المقبل فلم يعين بعد اسم النادي الذي سيتولى هذه المهمة السامية فنسأل الله التوفيق.

(الخرطوم — السودان) محمد موسى



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)